المنهج المقارن

يعد المنهج المقارن من أقدم أدوات التفكير والتحليل، وقد تم استعماله لزمن طويل في عدة ميادين معرفية؛ من علم السياسة إلى علم الإعلام والاتصال، مرورا بعلم الاجتماع والأنتروبولوجيا واللسانيات والإثنولوجيا والقانون..

وكان قد استعمل في العلوم الاجتماعية بطريقة ظاهرية، إلى أن جاء "دور كايم"، وأكد في كتابه "فوائد المنهج في علم الاجتماع"، أن علم الاجتماع في أساسه مقارنة؛ باعتبار أن الظواهر الاجتماعية بالتأكيد فريدة، وكان يرى أنه لا شرح دون مقارنة، ومنه اتسعت مجالات استخدام المنهج المقارن.

1- تعريف المنهج المقارن:

المنهج المقارن يجمع – للدراسة- ظاهرتين أو أكثر قصد تحليل ما يقربها أو يفصلها أو يباعدها.

2- المنهج المقارن في الدراسات الإعلامية الاتصالية:

الدراسات الإعلامية الاتصالية جزء من الظواهر الاجتماعية والإنسانية، باعتبارها تدرس على حد سواء وظائف وسائل الإعلام في خضم التفاعلات الاجتماعية، وتدرس في ذات الوقت سلوك الفرد أمام مضامين هذه الأخيرة. كما تدرس السلوك الاتصالي بين الفرد والجماعة، أو بين الجماعات فيما بينها.

وعلى ذلك، فهي بالضرورة تحتاج إلى المنهج المقارن في بعض من إشكالياتها، والأسلوب المقارن في الكثير من تحاليلها.

وتحتاج علوم الإعلام والاتصال المنهج المقارن في دراسة على سبيل المثال:

- أوجه الشبه والاختلاف بين الأنماط الرئيسة للسلوك الإعلامي، سواء كان مرسلا، جمهورا أم مستقبلا.
- النماذج المختلفة من التنظيمات الإعلامية- الاتصالية، كمؤسسات الإعلام والاتصال وما يدخل في فلك النظام.
- دراسة النظم الإعلامية في مجتمعات مختلفة، كدراسة معايير التلقي والتوزيع والتأثير، أو دراسة عادات التعرض، أو دراسة العمليات والتطورات التي تطرأ على نظم الاتصال، مثل التحضر والتمدن وعلاقاتها بأساق الاتصال أو الإعلام.
- تحليل نظم إعلامية واتصالية كلية، وعادة ما تتم المقارنة في هذا النوع من الدراسات بين المجتمعات وفقا للنمط الرئيس السائد في تلك النظم.

3- خطوات المنهج المقارن:

- التأكد من صلاحية المنهج المقارن في الموضوع محل الدراسة.
- تحديد موضوع المقارنة.
- تحديد معايير المقارنة؛ بمعنى التقارب بين فترات المقارنة كمعيار للمقارنة، أو منطقة تواجد الجمهور.. .
- تصنيف ظاهرة المقارنة؛ بمعنى النقاط الجزئية التي سوف يتم مقارنتها بين الظاهرتين محل التحليل، مثل تصنيف جنس المتتبعين لبرامج القناة "أ"، مع صنف جنس المتتبعين للقناة "ب" وهكذا.
- عرض نتائج المقارنة بطريقة يمكن فهم الاختلاف أو التقارب بين مختلف أصناف المقارنة.

وينبغي أن تكون تلك الخطوات معروضة في الإطار المنهجي للدراسة العلمية، مرتبطة بالتوجهات الأساسية للإشكالية وأهدافها، أي أن كل خطوة لا بد أن تكون مفسرة وفق ما يتصوره الباحث من توجهات كبرى لبحثه.

4- أسلوب المقارنة:

يتمثل أسلوب المقارنة في المقارنة "الخفيفة"، التي تظهر في كل محطات التحليل بطريقة أو بأخرى، وهي لا تشترط منهجية خاصة عدا التأكد أن المقارنة أصيلة، ولها أهمية في الإجابة عن الإشكالية، وتزيد الموضوع أهمية أيضا.

وقد يعتمد الباحث فيها:

- **طريقة المقارنة الأفقية:** التي تقوم على بحث المسألة في كل طرف من أطراف المقارنة، بحيث لا يعرض موقف الطرف الثاني حتى ينتهي من بحث المسألة في الطرف الأول.

وعلى سبيل المثال: عندما تجرى مقارنة بين مضمون جريدتين من حيث أسلوب تغطيتهما لحملة انتخابية معينة، فيمكن التركيز على الجريدة "أ" من الجوانب محل البحث، ثم الانتقال إلى مضمون الجريدة "ب"، ثم إحداث المقارنة.

- **طريقة المقارنة الرأسية:** يتناول فيها الباحث كل جزئية من جزئيات البحث في كل الأطراف محل المقارنة في آن واحد. ويعتبر هو الأفضل لأنه يتجاوز التكرار، ويؤدي إلى حسن وسهولة إدراك أوجه الاختلاف أو الاتفاق بين المواضيع التي تتم المقارنة بينها.

في المثال السابق: مقارنة أجزاء مختارة (محل المقارنة)، كمساحة المواضيع، أو تكرارها، أو أهدافها.. لكن في الجريدتين في نفس الوقت.